

"تسليم سيميائي"

الأسلوبية السيميائية منهجا للتحليل البلاغي  
خطبة الأشباح أنموذجا

**Stylistic Semiotics as a Methodology to  
the Eloquent Explication (Khutba Al-  
Ashbah as a Nonpareil)**

أ.د. نادية هناوي سعدون  
العراق / الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم  
اللغة العربية

Prof. Dr. Nadia Hanawi Sa`adoon  
Department of Arabic/ College of Education/  
University of Al-Mustansiriya/ Iraq

[Nada2007hk@yahoo.com](mailto:Nada2007hk@yahoo.com)

خضع البحث لبرنامج الاستئلال العلمي  
Turnitin - passed research



## الملخص:

اتخذ التفكير الاسلوبي أشكالاً مختلفة من التوجهات الحدائيه فهناك الاسلوبية الاحصائية وأسلوبية الانزياح والأسلوبية السياقية وأسلوبية السجلات.

ولما كانت البلاغة بمعياريتها والأسلوبية بصورها ونصيتها قد أشاحت اهتمامها عن المتلقي ودوره الإنتاجي في التحليل وتلمس مواطن الجمال؛ لذلك فإن الناقد الفرنسي هنريش بليت قد ابتكر في كتابه الموسوم (البلاغة والاسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص) عام ١٩٩٩ أسلوبية جديدة سماها الاسلوبية السيميائية كنموذج بلاغي جديد للتحليل يقدم صورة تقريبية للأسلوبية البلاغية جامعاً الأسلوبية بالسيميائية في تداوليتها ودلالاتها، وسنحاول تطبيق هذا النموذج من الدراسة الاسلوبية على خطبة الأشباح للإمام علي عليه السلام، بناءً على المحاور الآتية:

١. البلاغة بين المعيارية والوصفية
٢. الأسلوبية ومرجعية التأثير في الخطابة
٣. الأسلوبية السيميائية في خطبة الأشباح

- انزياح في التركيب
- انزياح في التداول
- انزياح في الدلالة

### Abstract

The Stylistic thinking takes different forms of modernist trends; there are stylistic and statistical stylistic deviation and stylistic contextual and stylistic records. As the rhetoric stylistic unparalleled views might be interesting for the recipient for their so productive a role in the explication .So the French critic Heinrich Plate devises in his book , Rhetoric and Stylistics to a Semiotic Model to Explicate the text, in ١٩٩٩, to provide an approximate portrait of the eloquent stylistics mingling the stylistics with the semiotics in pragmatics and semantics . The study , here, is to try to apply such a model of stylistic study to the Khutba Al-Ashbah of Imam Ali ( Peace be upon him ) based on the following themes:

- Rhetoric between the normative and descriptive .
- Stylistic reference and influence in public speaking.
- Stylistic semiotics in Khutba Al-Ashbah.
- o Shift in composition
- o Shift in pragmatics .
- o Shift in semantics

### البلاغة بين المعيارية والوصفية :

تتداخل البلاغة بالأسلوبية بشكل محسوس في النصوص الأدبية على اختلافها ولقد حاول النقاد والبلاغيون تحديد تصور لساني لعمل كل واحدة منها ومن هؤلاء الناقد الفرنسي هنريش بليت الذي وجد أنها ومنذ القدم يقيمان «علاقات وطيدة تتقلص الأسلوبية أحيانا فلا تعدو أن تكون جزءا من نموذج التواصل البلاغي وتنفصل أحيانا عن هذا النموذج وتتسع حتى لتكاد تمثل البلاغة كلها باعتبارها بلاغة مختزلة»<sup>١</sup>

وإذا كانت البلاغة في مفهومها التقليدي تختلف عن الأسلوبية كونها أقدم منها وأنها هيمنت على التفكير الشعري والمنطقي واهتمت بالإقناع والاحتجاج؛ إلا إن كليهما لا تعطيان اهتماما للأثر أو التأثير، وأنها تعنيان بإنتاج النصوص لا تحليلها وأن البلاغة قابلة للتطبيق على جميع النصوص القديمة والجديدة الخطابية والوعظية والشعرية والتراسلية.

وأشار بيير جيرو إلى أن علينا «أن لا نسيء الظن بالأسلوبية عندما نرغب أن تكون علما للتعبير وذلك لأنها بلاغة ولكنها بلاغة تستند إلى تعريف جديد لوظيفة اللغة والأدب المصممين كتعبير عن طبيعة الإنسان وعلاقاته مع العالم»<sup>٢</sup>

وقد ذهب الدكتور سعد مصلوح إلى أن «علوم البلاغة تعالج الإمكانيات التعبيرية في اللغة من جهة قواعدها أما الفحص اللساني الأسلوبي فموضوعه الكلام والأداء»<sup>٣</sup>، علما أن البلاغة العربية كانت قد أولت عناية كبيرة للنصوص المنجزة من ناحية وصفها وليس إنتاجها.

أما هنريش بليت فانه حاول توضيح أن البلاغة كفن ومنهج هي غيرها كعلم، إنها «منهج يمس خاصية ملازمة للإنسان هي الكلام وبصفتها منهجاً فإنها تتميز بمجموعة من القواعد هذه القواعد ليست مرصوفة بطريقة تعسفية بل .. قائمة على أساس منطقي»<sup>٤</sup>، وأن لكل خطاب بلاغي خمسة عناصر هي (تيمة ووظيفة وانفعال ومرجع ونموذج) وأن الجنس الخطابي مخصص «للبرهان أو للقضاء ويضم عدداً من الأشكال الخطابية»<sup>٥</sup>.

وقد اهتمت البلاغة الكلاسيكية بالخطاب القضائي والخطاب الاستشاري والخطاب الاحتفالي، ومن منطلق البلاغة المعيارية الأوربية التي تهتم بالجانب الإنتاجي لا التحليلي؛ فإن الخطابات تتعارض وقد يستدعي هذا التعارض تداخل الخطابي بالشعري للتأثير والإقناع بواسطة الحلية اللغوية.

ويفضي النظر للبلاغة من زاوية شفاهية وكتابية إلى رصد مسألة الكفاءة البلاغية أي مجموعة السنن التي تكوّن النص، وأن على المتلقي أن يمتلك «أكثر ما يمكن من السنن البلاغية أو القدرات الجزئية»<sup>٦</sup>

ولقد تغيرت هذه النظرة التقليدية للبلاغة في ستينيات القرن الماضي من قبل باحثين ألمان مثل دوكهورث وكورتوس ولوسبيرك والسبب يعود إلى الأهمية المتزايدة للسانيات التداولية ونظريات التواصل والسيميائيات والنقد الإيديولوجي والشعرية اللسانية.<sup>٧</sup>

وبالبلاغة العلمية الحديثة - التي من روادها في فرنسا رولان بارت وجينيت<sup>٨</sup> - أخذت تتمسك بوصف النصوص وتحليلها لا إنتاجها وصارت علماً ونظرية وهي

لا تقتصر على نسق المقاصد ولا الطبيعة المعيارية، بل تهتم بالآثار السيكولوجية أو الإيديولوجية على المتلقي ثم مرحلة ثانية» ربط الآثار النصية المستخرجة ببعض الخصوصيات البنائية للنص» وثالثا» تاريخية النص المعالج أو الوضعية الاجتماعية للكاتب»<sup>٩</sup> وصارت بين البلاغة والبنوية ثلاث مقاربات مشتركة هي: الشكلائية والوظائفية والعقلانية الاستنباطية»<sup>١٠</sup>

وباختفاء المعيارية من البلاغة وجد هنريش بليت الطريق ممهدا ليستيعض عنها بالوصفية البلاغية مُدخلا معها التاريخية والتأويلية وهذا ما أوصله إلى النظرية التداولية للنص وعلاقة التداولية النصية بمقام الخطاب، واهتمامها بمقام الحال والوظيفة في التلقي التي كثيرا ما اهتمت بها البلاغة العربية قديما..

وإذا كانت البلاغة إنتاجا وليست تحليلا؛ فإن لبناء النص مراحل خمسة بحسب مراحل تكوينها الزمني وهي: الإيجاد - الترتيب - العبارة - الذاكرة - الإلقاء»<sup>١١</sup>

ولقد اهتمت البلاغة بالخطابة من موقعين هما التقديم أو المقدمة والثناء أو الحمد فأما مواضع التقديم فتشتمل معنى العجز عن التعبير ومعنى الإخراج ومعنى الادعاء ومعنى الإهداء ومعنى الاستدعاء ومعنى التحفيز.

وأما مواضع الثناء والحمد فتشتمل الثناء على الأجداد والثناء على موضع البهجة والثناء على الحياة البدوية أو الثناء على ما هو معاصر أو الثناء على الزمن القديم الجميل<sup>١٢</sup>، وتنبه بليت إلى أن هذه كلها قد غاب عنها الطابع الحجاجي والجدلية.

أما الترتيب في إنتاج النص فطبيعي أو صناعي بفضل تقنية الاسترجاع ومثّل على ذلك بفرجيل وهو ميرس وملتون وفي إطار نسق الترتيب نمت قواعد بنائية بالنسبة

لمختلف أنماط الخطاب: الخطابة والرسائل والمواعظ ١٣ وتأتي بعد الإيجاد والترتيب العبارة التي هي فن التعبير اللساني.

ورأى أن هذه المراحل اعني ( الإيجاد/ الترتيب/ العبارة/ الذاكرة/ الإلقاء) بعضها متداخلة ويمكن اختزلها أو تجزئتها أو الاستغناء عنها كما ناقش مبادئ الأسلوب وأنماطه ومستوياته وأنها مناسبة للتحليل البلاغي النصي ومن وجهة نظر البلاغة المعيارية يكون للأسلوب: مناسبة / ملاءمة / دقة / وضوح / زخرفة.

ووفقا لذلك يتحدد مستوى الأسلوب كأن يكون بسيطا أو متوسطا أو رفيعا وأنا نجد الأسلوب البسيط في اللغة العلمية والأسلوب المتوسط في الخطابة. أما الأسلوب الرفيع فيكون في الشعر وأن أثر الأسلوب البسيط هو الإخبار وأثر الأسلوب المتوسط الإمتاع وأما أثر الأسلوب الرفيع فهو التأثير<sup>١٤</sup>.

الأسلوبية ومرجعية التأثير في الخطابة:

لقد رأى بليت في الأسلوبية ما رآه في البلاغة وهو الطابع المعياري في التحليل كون الأسلوب تعبير عن شخصية الكاتب/ المرسل. مما يعني ارتهان الأسلوب بالكاتب لا بالنص و«أن ردة الفعل ضد مفهوم الأسلوب من هذا القبيل مفهوم يجعله عبارة عن إنجاز فردي ينتهي غالبا وبكل بساطة إلى الإبعاد الخالص للمرسل / الكاتب الشيء الذي يحرم النموذج التواصلي من مكون أساس<sup>١٥</sup>.

وأن كون الأسلوب «يمثل اختيارا وخاصة فردية ونتيجة المعايير والمواصفات»<sup>١٦</sup> فإن ذلك قد جعل (بليت) يجري تعديلا على مفهوم الأسلوب لا يهتم بالمرسل والسياق فقط؛ بل والمتلقي أيضا<sup>١٧</sup>.

واقترح تعريفا للمتلقي وهو أنه «كيان علائقي في المفهوم التأثيري كما هو في المفهوم التعبيري»<sup>١٨</sup> وهذا ما يدخل المتلقي طرفا مهما من ناحية التأثير العاطفي بالأسلوب<sup>١٩</sup> وهذا التركيز على التواصل وجعل المتلقي في المقام الأول من النموذج البلاغي ليكون النص تابعا لمقصدية الأثر في المتلقي هو رد فعل مضاد على النسق البلاغي الأوربي القديم الذي لم يكن يأخذ المتلقي بعين الاعتبار.

وجدير بالإشارة إلى أن البلاغيين العرب لم يغفلوا أثر المتلقي بدءا من بشر بن المعتمر ومرورا بالسكاكي ووصولاً إلى حازم القرطاجني، وقد أعطوا المتلقي حضورا واهتماما فهذا ابن طباطبا يفتتح كتابه (عيار الشعر) بمخاطبة المتلقي قائلا: «فهمت حاطك الله ما سألت أن أصفه لك من علم الشعر والسبب الذي به إلى نظمه وتقريب ذلك على فهمك والتاني لتيسير ما عسر منه عليك وأنا مبين ما سألت عنه وفاتح ما يستغلق عليك منه»<sup>٢٠</sup>.

وأما عبد القاهر الجرجاني فلا ينسى المتلقي الذي يجعله نصب عينيه وهو يخاطبه «وجملة ما أردت أن أبينه لك: انه لا بد لكل كلام تستحسنه ولفظ تستجده من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة وان يكون لنا إلى العبارة عن ذاك سبيل وعلى صحة ما ادعيناه من ذلك دليل»<sup>٢١</sup> والخطيب القزويني يجعل المتلقي قبالة ناصح له وموجه «واعلم انه ليس إذا لم يكن معرفة الكل وجب ترك النظر في الكل ولان تعرف لعلة في بعض الصور فتجعله شاهدا في غيره أخرى من أن تسد باب المعرفة على نفسك وتعودها الكسل والهوين»<sup>٢٢</sup>

وكان حازم القرطاجني قد ادخل المتلقي طرفا في الخطاب البلاغي فقال مخاطبا

المتلقي شارحاً أحوال القول البلاغي:» فإذا أردت أن تقارن بين المعاني وتجعل بعضها بإزاء بعض وتناظر بينها فانظر مأخذاً يمكنك معه أن تكون المعنى الواحد وتوقعه في حيزين فيكون له في كليهما فائدة فتناظر بين موقع المعنى في هذا الحيز وموقعه في الحيز الآخر»<sup>٢٣</sup>.

وقد فندت المدرسة الأسلوبية نظرية أن الأسلوب محاكاة وآمنت بأنه تأليف خاص للغة وأنه مفهوم محايت للنص وظهرت للأسلوبية أنواع عديدة ونزعات مختلفة منها أسلوبية الانزياح والأسلوبية الإحصائية وأسلوبية السياق<sup>٢٤</sup>

وقد تناول بيرجيو عدة أسلوبيات منها أسلوبية التعبير أو الأسلوبية الوصفية عند بالي التي» هي دراسة القيمة الأسلوبية للأدوات التي يستخدمها التفكير ليعبر عن نفسه»<sup>٢٥</sup>، لكنه نقدها من زاوية أنها» لم تجدد في النهاية علم الأسلوب وهذا كان أقل فيما يخص تأقلم الأسلوبية مع موضوعها من كونها استخدمت استخداماً سيئاً وجهلت وظائف اللغة وعلاقتها مع النص فالبنوية أسست نقداً جديداً لأسلوبية النصوص قام في الوقت نفسه على تحليل موضوعي لوظائف اللغة وعلى معايير جديدة للوصف»<sup>٢٦</sup>، كما تحدث عن الأسلوبية التكوينية أو أسلوبية الفرد والأسلوبية المثالية عند ليو سبينترز.

وجدير بالإشارة إلى أن الدكتور سعد مصلوح كان قد ابتدع ما سماها الجغرافية الأسلوبية التي عرّفها بأنها» مجال معرفي لم تحرر له بعد شهادة ميلاد بين العلوم اللسانية.. والمكتبة اللسانية العربية حظها من الدرس الجغرافي جد قليل ومن الدرس الجغرافي الأسلوبية في حكم العدم»<sup>٢٧</sup>

واجترح مصطلح الأطلس الأسلوبي وهو «مجموع الخرائط .. التي تسجل توزيع الظواهر الأسلوبية على خريطة الميدان اللغوي أو المدونة الأسلوبية المدروسة»<sup>٢٨</sup> وتحدث عن الخرائط الأسلوبية وخطوط التوزيع والكيانات الأسلوبية عادا الجغرافية الأسلوبية من ضمن الأسلوبيات المقارنة أو التقابلية لكنه ظل في تطبيقاته منشدا إلى الأسلوبية الإحصائية.

وبالعود إلى بليت فانه لم يقتنع بأية نزعة من نزعات الأسلوبية فرأى أن أسلوبية الانزياح معيارية تغيب عنها التداولية وأخذ على الأسلوبية الإحصائية اتجاهها الوضعي وعجزها عن وصف الطابع المنفرد وأنماط العبقرية<sup>٢٩</sup> و تبرم من الأسلوبية السياقية لريفاتير كونها تعتمد المعيار داخل النص وخارجه بمعنى «أن المفارقة ناتجة عن إدراك عنصر نصي متوقع متنوع بعنصر غير متوقع»<sup>٣٠</sup> وعقب على أسلوبية السجلات أنها لم تطور ولم تعرف امتدادات ملحوظة<sup>٣١</sup>.

وبسبب كون البلاغة بمعياريتها والأسلوبية بصورها ونصيبتها قد أشاحتا باهتماماتهما عن المتلقي ودوره الإنتاجي في التحليل وتلمس مواطن الجمال؛ لذلك اقترح هنريش بليت أنموذجا تحليليا جديدا يجمع الأسلوبية بالسيمائية في تداوليتها ودلالاتها ليردم النقص في التواصل عبر الرجوع إلى المقام اليومي واختلاف المقاصد ومقامات التواصل.

وهذا ما خصص له بليت القسم الثالث من الكتاب تحت عنوان (نموذج أسلوبي جديد للتحليل السيميائي) وهذا النموذج هو انزياح عن معيار التواصل اللساني وشكل من أشكال صورية التواصل بناء على حرية الفكر اللساني.

وهذا الشكل من الأسلوبية الذي اقترحه بليت سنختره لنطبقه على عينة نقدية منطلقين من إمكانية استشراف أي نمط من أنماط الأسلوبية أو أحقية أي باب من أبواب الأسلوبيات المعاصرة في تطبيقه على الأجناس الأدبية التراثية منها والمعاصرة.

وستكون خطبة الأشباح للإمام علي عليه السلام هي الأنموذج البلاغي الإجرائي الذي نخضعه للتطبيق ولعل من أسباب اختيارها أنها تعد من جلائل خطبه عليه السلام إذ أن سبب قولها إن سائلا كان قد سأله عليه السلام أن يصف الله حتى كأنه يراه عيانا فغضب عليه غضبا شديدا وقال الخطبة ٣٢، ناهيك عن تمتع الخطبة بالكثافة المجازية اللغوية من مضامين وعبارات بما يخدم مقاييس الفحص والرصد الكمي تكثيفا وتحليلا واستشهادا.

ولما كان السطر وحدة قياس فإن احتواء الخطبة على مئة وسبعة وثمانين سطرا سيجعل عملية تحديد كثافة الرصد ممكنا عبر قسمة عددية الشواهد على الطول الكمي للخطبة.

الأسلوبية السيميائية في خطبة الأشباح:

إذا كان هنريش يستمد مشروعية هذا الأنموذج من أسلوبية الانزياح؛ فإنه كان قد اشتغل في الوقت نفسه على المستوى التداولي كونه « يعيد تشغيل نسق الصور البلاغية القديمة هذا النسق الذي يستند إلى مبدئين هما الانزياح والأثر الانفعالي» ٣٣، محاولا تطوير نتائج توصل إليها باحثون مثل تودوروف وليش باتجاه تحسين أسلوبية الانزياح ٣٤ ومضيفا مكونا تداوليا للوظائف النصية للأسلوب نازعا منزعا ميخائيل باختين من ناحية الاهتمام بالحوار والطابع الديالوجي للمقوم النصي.

وقبل الشروع بالتطبيق التحليلي يتوجب علينا إعطاء عرض تفصيلي لأجزاء الخطبة على وفق الرؤية التي تبناها بليت لفن الخطابة / oratio وقد وجد أن كل خطبة تضم أربعة مراحل هي:

المقدمة أو المدخل: وعليها أن تجعل القارئ المستمع منتبها متقبلا ومرحبا ويتم ذلك وغيره بفضل مواضع التقديم ..

وهي في خطبة الأشباح تتجسد في تنبيه المستمع نحو حمد الله تعالى وتعداد صفاته سبحانه ومواضع قدرته عز وجل على عبادته، فهو المنان والأول والآخر والرادع والجواد وهذا ما يجعل القارئ أو المستمع منتبها متقبلا، وعدد سطور هذه المرحلة اثنا عشر سطرا وتبدأ (الحمد لله الذي لا يضره المنع والجمود ولا يكديه الإعطاء والجود، إذ كل معط منتقص سواه، وكل مانع مذموم ما خلاه، وهو المنان بفوائد النعم، وعوائد المزيد والقسم، عياله الخلائق، ضمن أرزاقهم، وقدر أقواتهم، ونهج سبيل الراغبين إليه والطالبين ما لديه وليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل، الأول الذي لم يكن له قبل، فيكون شيء قبله، والآخر الذي ليس له بعد، فيكون شيء بعده، والرادع أناسي الأبصار عن أن تناله، أو تدركه، ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال، ولا كان في مكان) <sup>٣٥</sup>

السر: وهو من وجهة نظر بليت يعني الحكيم عن توالي الوقائع ويطلب فيه أن تقدم الوقائع للقارئ أو المستمع بطريقة مختصرة واضحة ومقبولة..

وفي خطبة الأشباح يتم تحديد أسباب الخطبة وما الذي تحكيه للمستمع وقد تم توظيف ضمير الخطاب لتوجيه الأذهان وتنبيهها على مكان علم الله تعالى وكيف

أن معرفته وسعت كل شيء وما الذي افتراه المفترون من الكاذبين وقد اشتملت على اثنين وثلاثين سطراً ومنها قوله عليه السلام (ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت عنه أصداف البحار من فلز اللجين والعقيان ونثارة الدر وحصيد المرجان ما اثر ذلك في جوده ولا أنفد سعة ما عنده وكان عنده من ذخائر الأنعام ما لا تنفده مطالب الأنعام لأنه الجواد الذي لا يغيضه سؤال السائلين ولا يبخله إلحاح الملحين..)<sup>٣٦</sup>

الاحتجاج: وهو البرهان ويتفرع أحياناً إلى تبرير ايجابي وتبرير سلبي ويمكن أن ينطبع هذا الجزء من الخطاب بالموضوعية والانفعال تبعاً للتأثير الذي يرغب الخطيب في أحدثه.

وفي الخطبة نجد الاحتجاج قد جاء في مواضع عدة منها موضع البرهنة على قدرة الله سبحانه وتعالى بخلق السماء وخلق الملائكة وخلق الأرض ودحوها على الماء وتقدير الأرزاق والحياة والموت. وقد شغلت سطورها ما نسبته النصف تقريباً من الخطبة كلها إذ تمثلت في مئة واثنين وثلاثين سطراً بما يؤكد أن الاحتجاج هو مقصود الخطبة ومطلبها الأساس ومبتغاها الأصلي ومنها قوله عليه السلام: (قدّر ما خلق فاحكم تقديره ودبره فألطف تدبيره.. وكيف وإنما صدرت الأمور عن مشيئته المنشئ أصناف الأشياء بلا روية فكر آل إليها ولا قريحة غريزة اضمر عليها ولا تجربة أفادها من حوادث الدهور ولا شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور فتم خلقه بأمره وأذن لطاعته وأجاب إلى دعوته..)<sup>٣٧</sup>

لذلك تشكلت الفكرة في النهاية وتضم عادة ملخصاً موجزاً للبرهنة المقدمة ودعوة للانفعال مثل الرحمة والغضب ..

وقد توجهت خاتمة خطبة الأشباح نحو دعاء الله تعالى والتوسل إليه لكسب رضاه ورحمته فهو سبحانه خير متأمل وهو أهل المناجاة وخير مسؤول. وقد جاءت بلسان المتكلم الخاشع الذليل الموحد الطالب للرضا والعفو وقد شغلت مساحتها احد عشر سطراً ومنها قوله عليه السلام: (اللهم أنت أهل الوصف الجميل والتعداد الكثير أن تؤمل فخير مؤمل وان ترجو فأكرم مرجو اللهم وقد بسطت لي ما لا امدح به غيرك... فهب لي في هذا المقام رضاك وإغننا عن مد الأيدي إلى سواك انك على كل شيء قدير)<sup>٣٨</sup>

ومن المنطلق الأسلوبى الذي يرى « أن المرجع أو المضمون في عملية الإيصال اللساني مثلاً يتكون من الفكرة كما يتكون الرمز من اللغة والناقل من هواء المحيط الحامل لموجات سمعية أرسلها الصوت واستقبلتها الإذن»<sup>٣٩</sup> تقوم فرضية النظرية موضع الرصد على الصورة البلاغية التي هي الوحدة اللسانية التي تشكل انزياحاً لسانياً ناتجاً إما عن انزياح في التركيب أو انزياح في التداول أو انزياح في الدلالة لتنتج لنا صوراً فيها سمات سيميائية.. وليغدو فن العبارة نسقاً من الانزياحات اللسانية.

فإذا كان مستوى التركيب syntax هو المستوى اللساني الأول؛ فإن علم التركيب هو المستوى اللساني الثاني ويكون التداول هو المستوى اللساني الثالث للنص الأدبي.

وتشتغل التراكيب على علم المعاني بينما تقوم الدلالة على علم البيان وأما التداول فيستند على المقام ومقتضى الحال. ولكل انزياح من هذه الانزياحات صور بلاغية

فالتركيب له صورة سميوتركيبية ناجمة من حضور نموذج نحوي وللدلالة صورة سميوذلالية ناتجة عن نموذج للواقع وللتداول صورة سميوذداولية متأتية من حضور نموذج تواصلية<sup>٤٠</sup> وبناء على ما تقدم سنقف عند هذه الأصناف الثلاثة من الانزياحات:

أولاً: الانزياح في التركيب :

يتحقق هذا النوع من الانزياح بالخروج عن النموذج النحوي مما يوّلد صوراً لسانية يسميها هنريش بليت الصور المورفولوجية الميتامورف والتي «تستخلص بدورها من عمليات الانزياح الخمس المذكورة»<sup>٤١</sup> وهي الزيادة والنقص والتعويض وتبادل البدائل والتعادل أو التردد.

وإذا كانت الوحدة المورفولوجية وحدة لسانية مرجعية؛ فإنها انزياح داخل الكلمة وخارجها في إطار المجال الانكلوسكسوني خطياً (زيادة/ نقص/ تعويض/ تبادل/ تعادل)<sup>٤٢</sup> ويتم تمثل هذه الصور في اللهجات الاجتماعية من ناحية موقع الكلمة التي تلعب دوراً في الصور البلاغية<sup>٤٣</sup>

وهذا ما عرفته البلاغة القديمة في علم المعاني من انزياحات لسانية تدخل في التركيب ومن ذلك مثلاً التعريف والتنكير أو الحذف والإظهار والتقديم والتأخير والفصل والوصل ..

وقد ذهب د. محمد عبد المطلب إلى أن المدلولات تتعدد بالنسبة للدال الواحد من سياق إلى آخر<sup>٤٤</sup> وأن كل عملية لسانية تجري على مستوى لساني سيوّلد صوراً بلاغية وما يتبعها من صور فونولوجية ومورفولوجية ولا بد أن «تعمل أنماط العمليات

اللسانية حينئذ كأنها طحويلية إنها تحول المعيار اللساني الأولي النحوية إلى معيار ثانوي البلاغة»<sup>٤٥</sup>.

وبقدر ما تكون المستويات والعمليات اللسانية متنوعة يكون فيها كذلك من الانزياحات الناتجة عن التأليف اللساني. وفي الخطبة موضع الرصد نجد أن الضمائر تتناوب فتبتدئ الخطبة بضمير الغياب ثم ضمير الخطاب ثم الغائب المؤنث للسماء ثم ضمير الغائب المذكر للملائكة ثم الغائب المؤنث للأرض، ثم ضمير الغائب المذكر لآدم ثم ضمير الغائب للذات الإلهية وتختتم بمناجاة الذات الإلهية) انك على كل شيء قدير)

وهناك انزياحات أخرى على مستوى المطابقة والالتفات والإفراد والتثنية كإفراد خلق الملائكة والأرض والسماء وآدم والتثنية بالشمس والقمر (فأجراهما في مناقل مجراهما وقدر سيرهما في مدارج درجهما) والليل والنهار) ليميز بين الليل والنهار بهما... ولم ترتجلهم عقب الليالي والأيام)

ويحتوي النموذج السميوتركيبي للصور على ثلاثة أقسام: قسم يخترق المعيار بالزيادة والنقصان وقسم يعادله بالتكرار والترديد وقسم يضاده بالتبادل للبدائل.

وسنقوم من خلال الجدول الإحصائي الآتي بتوضيح الصور التي انزاحت عن تركيبها النحوي في الخطبة وأخذت بعدا تركيبيا سيميائيا أو صورة سميوتركيبية فيها الموجه النوعي للانزياح يتكون من سلسلة لسانية للغة الطبيعية بالزيادة والنقصان أو بالتكرار أو بالتضاد وسنضع خطأ تحت اللفظة المقصودة تمييزا لها عن سائر العبارة أو الجملة :

التضاد (تبادل البدائل)	التكرار والترديد	الزيادة والنقصان
الأول الذي لم يكن له قبل / الآخر الذي ليس له بعد	من فلز اللجين والعقيان	الذي لا يفره المنع والجمود ولا يكديه الإعطاء والجود
معادن الجبال / أصداف البحار	ونثارة الدر والمرجان	ونهج سبيل الراغبين إليه والطلابين ما لديه
ذخائر الأنعام / مطالب الأنام		وليس بها سئل بأجود منه بما لم يسأل
فما ذلك القران / وما كلفك الشيطان	الذي ابتدع الخلق على غير مثال امثله	الأول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله
الذي ابتدع الخلق / ولا مقدار احتذى	فصار كل ما خلق حجة له ودليلا عليه	والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده
وان كان خلقا صامتا / فحجته بالتدبير ناطقة	ولاءم بقدرته .. ووصل أسباب قرائنها	والراذع أناسي الأبصار عن أن تناله أو تدركه
بتباين أعضاء خلقك / وتلاحم حقاك مفاصلهم	وجزأوك تجزئة المجسمات بخواطهم	ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال
وكأنه لم يسمع تبرؤ التابعين من المتبوعين	انك أنت الله	ولكان عنده من ذخائر الأنعام ما لا تنفده مطالب الأنام
فأقام من الأشياء أودها ونهج حدودها	ودبره فألطف تدبيره ووجهه لوجهته	لا يغيضه سؤال السائلين ولا يبخله إلحاح الملحين
متضادها / قرائنها	دون الانتهاء إلى غايته	مما ليس في الكتاب عليك فرضه .. وأئمة الهدى أثره

دون الغيوب الإقرار بجملته ما جهلوا من الغيب المحجوب	المنشئ أصناف الأشياء	وما غشيته سدفة ليل أو ذر عليه شارق نهار
لتدرك منقطع قدرته.. في عميقات غيوب ملكوته	ولم يعترض ريث المبطن ولا أناة الملتكى	وذلل للهابطين بأمره الصاعدين بأعمال خلقه
فرجعت إذ جبهت	فرقها أجناسا مختلفات	فالتحمت عرى اشراجها.. وفتق بعد الارتناق أبوابها
لتجري في كيفية صفاته متخلصة إليه سبحانه	بدايا خلائق احكم صنعها وفطرها على ما أراد وابتدعها	ليميز بين الليل والنهار بهما
لا ينال.. كنه معرفته خاطرة من تقدير جلال عزته	وقدر سيرهما في مدارج درجتها	وهبوطها وصعودها
وارانا من ملكوت قدرته وعجائب ما نطقت به آثار حكمته	فالتحمت عرى اشراجها وفتق بعد الارتاق صوامت أبوابها	نحوسها وسعودها
اعتراف الحاجة.. بمساک قدرته ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته	من ثبات ثابتها ومسیر سائرها	ولم ترتحلهم عقب الليالي والأيام
التي أحدثها آثار صنعته وأعلام حكمته	ملا بهم فروج فجاجها .. وبين فجوات تلك الفروج	ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة إيمان
فحجته بالتدبير ناطقة ودلالته على المبدع قائمة	أنشاهم على صور مختلفات وأقدار متفاوتات	ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم
المحتجبة لتدبير حكمتك لم يعقد غيب ضميره على معرفتک	عزيمة إيمانهم.. على معاقد يقينهم	ذخيرة ليوم فاقتهم

	ولا قدحت قادمة الإحن فيما بينهم	
انقطاع الخلق إلى المخلوقين	وقطعهم الإيقان به إلى الوله إليه	إذ شبهوك بأصنامهم ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم
وما اعتقت عليه أطباق الدجاجير وسبحات النور	ولم يستعظموا ما مضى.. ولو استعظموا ذلك	من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك
عزيمة إيمانهم / لم تعتك الظنون	نظم بلا تعليق.. ولا حم صدوع	تنزلت به محكمات آياتك ونطقت عنه
ومنهم من هو في خلق الغمام الدلح / وفي عظم الجبال الشمخ	عن مشيئته المنشئ أصناف الأشياء	حجج بساتك قدرت ما خلق فاحكم تقديره ودبره فألطف تدبيره
فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم	إلا إلى مواد من قلوبهم غير منقطعة من رجائه ومخافته	لم تثقلهم / لم ترتحلهم
في مقاوم الطاعة مناكبهم.. في أمره رقابهم	شموخ انفه وسمو غلوائه	ولا تجربة أفادها من حوادث الدهور ولا شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور
وجعل ذلك بلاغا للأنام ورزقا للأنعام	قد ذاقوا حلاوة معرفته وشربوا بالكأس الروية من محبته	أذعن لطاعته وأجاب دعوته
خرق الفجاج في آفاقها وأقام المنار للسالكين على جواد طرقها	الأبصار عن أن تناله أو تدركه	وناط بها زيتتها من خفيات دراريها ومصاييح كواكبها ورمى مسترقي السمع بثواقب شهبها

ثم خلق سبحانه لإسكان سمواته .. من ملكوته	لم يفكهم من ربقتة زيغ ولا عدول ولا وفي ولا فتور	وقسمها على الضيق والسعة
ملاً بهم فروج فجاجها وحشى بهم فتوق أجوائها	وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذوات الشم من صياخيدها	وقدر الأرزاق فكشها وقللها
تردع الأبصار عن بلوغها فتقف خاسئة على حدودها	انشأ لها ناشئة سحاب	
تسبح جلال عزته .. في الخلق من صنعه	قرنا فقرنا	ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها
أهل الأمانة على وحيه وحملهم إلى المرسلين ودائع أمره ونبيه	وبلغ المقطع عذره ونذره	الشكر والصبر من غنيها وفقيرها
وفتح لهم أبواباً ذللاً .. ونصب لهم منارا	وهماهم كل نفس هامة	وخلق الآجال فأطأها وقصرها
ما لاق من معرفته بضائهم .. وهيبة جلالته في أثناء صدورهم	ولا اعترضته عارضة	وقدمها وأخرها
استفرغتهم أشغال عبادته ووصلت حقائق الإنسان بينهم وبين معرفته	ضوائر المضميرين ونجوى المتخافتين	وجعله خالجا لاشطانها وقاطعا لمرائر اقرانها
ولم ينفد طول الرغبة إليه مادة تضرعهم ولا أطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم	وغيابات الغيوب	رجم الظنون وعقد عزيمات اليقين
فيخالفوا عن رجاء ربهم ولم تحف لطول المناجاة اسلات ألسنتهم	فهمد بعد نزقانه وكبد بعد زيفان وثباته	وهمس الأقدام .. غلف الأكمام

ومحط الأمشاج من مسارب الأصلاب	أن تؤمل فخير مؤمل	ولا تعدو على عزيمة جدهم بلادة الغفلات ولا تنتضل في همهم خدائع الشهوات
وما تسفي الأعاصير بذيوها وتعفو الأمطار بسيوها	وان ترَج فأكرم مرجو	لا يقطعون أمد غاية عبادته ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته
في كئيبان الرمال ومستقر... شناخيبي الجبالي	ولا اثني به على أحد سواك ..ولكل مثن عليه من أثني عليه	إلا وعليه ملك ساجد أو ساع حافد
	مثوية من جزاء أو عارفة من عطاء	وتزداد عزة ربهم في قلوبهم عظما
	وهذا مقام من أفردك بالتوحيد	تلتطم او اذي أمواجها وتصطفق متقاذفات اثباجها
	ولا شعبتهم مصارف الريب ولا اقتسمتهم اخياف الهمم	فلما سكن هياج الماء من تحت أكنافها وحمل شواهق الجبال .. على أكتافها
	خرقت أقدامهم ..نفذت في مخارق	ولم ينم وميضه في كنهور ربابه ومتراكم سحابه
		تمر به درر اهاضييه ودفع شأبييه
		فهي تبهج بزينة رياضها وتزدهي بما ألبيسته من ريط أزاهيرها ..من ناصر أنوارها
		اختار ادم عليه السلام خيرة من خلقه وجعله أول جبلته واسكنه جنته

		واعلمه أن في الإقدام عليه التعرض لمعصيته والمخاطرة بمنزلته
		مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته ويصل بينهم وبين معرفته
		ووصل بالموت أسبابها وجعله خالجا لاشطانها وقاطعا لمرائر اقرانها
		وما ضمته اكنان القلوب وغيابات الغيوب
		وحس كل حركة ورجع كل كلمة وتحريك كل شفة ومستقر كل نسمة
		بل نفذ فيهم علمه وأحصاهم عده ووسعهم عدله .. مع تقصيرهم عن كنه ما هو أهله
		وعدلت بلساني عن مدائح الآدميين والثناء على الربوبيين المخلوقين
		في هذا المقام رضاك وإغتنا عن مد الأيدي إلى سواك
		منتقص سواه .. مذموم ما خلاه
		وهو المنان بفوائد النعم وعوائد المزيد والقسم
		ضمن أرزاقهم وقدر أوقاتهم

		ما اثر في جوده ولا أنفد سعة ما عنده
		وبي فاقه لا يجبر مسكتها إلا فضلك ولا ينعش من خلتها إلا منك وجودك
		ما لم يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا
		وفرقها أجناسا مختلفات في الحدود.. والهيئات
		ونظم بلا تعليق رهوات فرجها ولا حم صدوع انفراجها ووشج بينها وبين أزواجها وذلل.. حزونة معراجها
		وامسكها من ان تمور في خرق الهواء بأيده وأمرها ان تقف مستسلمة لأمره
		تردع الأبصار عن بلوغها فتقف خاسئة على حدودها
		أنشاهم على صور مختلفات وأقدار متفاوتات
		لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه ولا يدعون أنهم يخلقون شيئا معه مما انفرد بها عباد مكرمون
		وما سكن من عظمته وهيبته جلالته

		وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته
		ولم تختلف في مقاوم الطاعة مناكبهم ولم يثنوا إلى راحة التقصير في أمره رقابهم
		قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم ويمموه عند انقطاع الخلق.. برغبتهم
		فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها وسكن هيج ارتمائهم إذ وطئته بكلكلها وذل مستخذيا إذ تمعكت عليه بكواهلها
		بعد اصطخاب أمواجه ساجيا مقهورا وفي حكمة الذل منقادا أسيرا
		وفرقتها في سهوب بيدها واخاديبها وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها
		التي تقصر مياه العيون عن روابيها ولا تجد جداول الأنهار ذريعة إلى بلوغها
		ألف غمامها بعد افتراق لمعه وتباين قزعه
		اخرج به من هوامد الأرض النبات ومن زعر الجبال الأعشاب

		وأسكنته جنته وارغد فيها أكله
		وبفرج أفرأحها غصص اتراجها
		عقاييل فاقتها وبسلامتها طوارق آفاتها
		وناشئة الغيوم ومتلاحمها ودرور قطر السحاب في متراكمها

والخلاصة لما انتهى إليه الجدول أعلاه في رصده الكمي القياسي لسيميائية البناء التركيبي في الخطبة توضح ما يأتي:

أن الصور التركيبية والميتاتركيبية قد أتت من العمليات التي تمس مكونات الجمل فأما بالزيادة والنقص أو بالتبادل والتكرار أو بالتضاد وتبادل البدائل.

أن أكثر الانزياحات نسبة كانت لصالح الزيادة والنقصان التي حرفت الصور التركيبية لتكون تراكيب سميوتركيبية توجه القارئ أو المستمع إلى الصوت أو الدلالة أو التركيب.

أن التعادلات التركيبية للتماثل والتعويض قد جاءت في المرتبة الثانية بنسبة الصور السميوتركيبية التي ضمتها الخطبة.

أن التردد والتعادل بصفة خاصة والصور التكرارية كانت أقل تنوعاً ولكنها أكثر

تواجدا من مظاهر التضاد وتبادل البدائل.

ثانيا : الانزياح في الدلالة:

يكون الانزياح أنموذجا تواصليا بالتعويض والإبدال مجازا أو استعارة أو كناية وهذا ما يولد صورا سميودلالية يراها هنريش بليت أكثر تعقيدا في النحو الثاني وهو ما يقابل المعاني الثواني أو معنى المعنى في البلاغة العربية مما كان قد اهتم به علم البيان.

ولم يجعل بليت التشبيه من ضمن الانزياحات الدلالية ربما لأن درجته ليست بالقدر الذي عليه المجاز الذي كان قد أولاه اهتماما كبيرا إذ قال: «ومن بين الصور الدلالية الأكثر أهمية هناك صور التعويض التي دأب الناس على تسميتها مجازات»<sup>٤٦</sup>

والمجاز مركب لفظي ناتج عن انزياح نحوي بين الفعل والفاعل أو المفعول أو الصفة أو الموصوف أو المضاف أو المضاف إليه، وكان عبد القاهر الجرجاني قد وجد أن «القول في المجاز هو القول في الاستعارة لأنه ليس هو بشيء غيرها وإنما الفرق أن المجاز أعم من حيث أن كل استعارة مجاز وليس كل مجاز استعارة»<sup>٤٧</sup> و«أن ليست الاستعارة نقل اسم عن شيء إلى شيء ولكنها ادعاء معنى الاسم لشيء»<sup>٤٨</sup> ويضم المجاز بحسب بليت ثلاثة عناصر:

عبارة تعوض غيرها (المعوض) يكون استعارة أو كناية أو مجازا مرسلا يرمز له ب)

(١ د

عبارة عوضت: المعوض المرموز له ب (٢ د)

القرينة المرموز إليها ب(ق) وهي تشير إلى وجود مجاز

وتشير العلاقة بين (د ١ و ٢د) إلى البعد الابدالي للمجاز والعلاقة بين ق و د١ إلى البعد التركيبي لكن العلاقة (د١ و ٢د) هي التي تصنف صور المجاز<sup>٤٩</sup>

أما الكناية فإنها» مثل الاستعارة تتحقق على مستويات لسانية مختلفة وتنتج على سبيل المثال كناية مسمية أو مكملة<sup>٥٠</sup>، وتجمع الكناية عدداً من التعويضات القائمة على المجاورة التي تعرف في الأسلوبية المعيارية باسم المجاز المرسل.

وتجدر الإشارة إلى أن بيير جيرو قد وجد أن تحليل جاكوبسون للاستعارة والكناية يجعل منها مشتركات بالتماثل والتجاور<sup>٥١</sup>.

وكان هنريش بليت قد تنبه الى اختلاف تودوروف وهنري وديبوا في تحديد المجاز والاستعارة والكناية. وحدد أن للنظرية نمطين: عملية التشابه التي يعرض فيها شيء بمعادلة كتعويض فتاة بالخيزران في الشثي، ويفترض تعويض المجاورة علاقة اسنادية بين د١ مثل شراع و٢د باخرة ونتيجة هذه العمليات هي مجازات التشابه أي الاستعارات ومجازات التجاور أي الكنايات وجميع المجازات تابعة لهذين الصنفين الأساسيين<sup>٥٢</sup>

ويشرح هنريش بليت أهم ظواهر التعويض القائم على المجاورة تعويض + عام + خاص والعكس ينتج كناية مخصصة كلي + جزئي وقد تكون الكناية معجزة ناتجة من اجتماع الجزئي بالكلي والمفرد بالجمع والنوع بالجنس أو تكون الكناية رمزية وهي أكثر أهمية من الكناية لأنه تنتقل من المجاورة إلى التداول مما يولد الصور النصائية أو الميئاض التي هي نقطة وصل بين نظرية الأسلوب ونظرية الاجناس

وتسمى صورة الزيادة النصانية استطرادا وهو يكمن في العدول عن القيمة الرئيسية وإدخال قيمات إضافية قليلة الارتباط بالقيمة الرئيسية تحدد بنية ترتيب النصوص<sup>٥٣</sup> وإذا كانت «الدلالة السياقية هي التي تبرز أواصر القربى بين المعاني المختلفة للمادة اللغوية وتجعل من المعاني المبددة نظاما دلاليا تنصهر فيه المعاني التي تبدو فيه مختلفة»<sup>٥٤</sup>، فإن الانزياحات المتحققة على مستوى الدلالة في خطبة الأشباح قد اتخذت شكل مجازات متوزعة بين الاستعارة والكناية وهذا ما يوضحه الجدول الآتي:

الصور الاستعارية      الصور الكنائية

ما اختلف عليه دهر	قمرها أية ممحوة من ليلها
لا يفره المنع والجمود	ريث المبطئ / أنا المتلكئ
ما تنفست عنه معادن الجبال	خطرات الوسواس
ضحكت عنه أصداف البحار	عرانين انوفها
الجواد الذي لا يغيضه سؤال السائلين	اسلات ألسنتهم
ولا يبخله إلحاح الملحين	ورمى مسترقي السمع

يوم فاقتهم	ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته
مصارف الريب	حاول الفكر المبرأ من خطرات الوساوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته
أخياف الهمم	وتولمت القلوب
أسراء إيمان	لا تبلغه الصفات وهي تجوب مهاوي صدف الغيوب
شموخ أنفه	حجته بالتدبير ناطقة
سمو غلوائه	فالتحمت عرى اشراجها
كظة جريته	وفتق بعد الارتناق صوامت أبوابها
زيفان وثباته	لم تثقلهم موصرات الآثام
عرانين أنوفها	لم تر تجلهم عقب الليالي
أول جبلته	لم تعترك الظنون على مقاعد يقينهم

متحملي ودائع رسالاته	ولا قدحت قاذحة الإحن فيما بينهم
مسارق اياض الجفون	ولا سلبتهم الحيرة
مد الأيدي إلى سواك	لم تطمع فيهم الوسوس
قاذحة الإحن	فتفتزع برينها على فكرهم
وشربوا بالكأس الروية	وتمكنن من سويداء قلوبهم وشيخة خيفته
ترغوا زبدا	لم يفكهم من ربقته زيغ ولا عدول ولا وني
بعاع ما استقلت به	خضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها
	وسكن هيح ارتمائيه إذ وطئته بكلكلها
	إذ تمعكت عليه بكواهلها
	حمل شواحق الجبال الشمخ البذخ على أكتافها
	سحاب تحيي مواتها
	تمضخت لجة المزن فيه

	التمع برقه في كفه
	لم ينم وميضه في كنهور ربابه
	قد أسفَّ هيدبه
	تمريه الجنوب درر اهاضييه
	فلما أَلقت السحاب برك بوانيه
	وحضنت عليه أمواج البحار
	وما ضمته اكنان القلوب
	وما أصغت لاستراقه مصائخ الأسماع
	وما تسفي الأعاصير بذيوها
	تعفو الأمطار بسيوها
	وما اوعبته الأصداف
	غشيته سدفة الليل
	ذر عليه شارق نهار

	وما اعتقت عليه أطباق الدياجير
	ولا اعترضته عارضة .. ولا اعتورته .. ملالة ولا فترة
	الرجيح الذي تستك منه الأسباع
	تصطفق متقاذفات اثباجها
	ولا تجد الأنهار ذريعة إلى بلوغها

والخلاصة لما انتهى إليه الجدول أعلاه في رصده الكمي القياسي لسيميائية البناء الدلالي في الخطبة توضح ما يأتي:

أن أغلبية الصور السميودلالية كانت استعارية بأنواعها الممكنة والتصريحية .

إن الصور التي اتخذ فيها الانزياح الدلالي صيغة الكناية قد وردت في ألفاظ غريبة ذات فصاحة بالغة لتقوية عامل الاحتجاج والتوصيل .

تأرجحت الصور التي نتجت عن الانزياح على مستوى الدلالة بين محوري التجاور والتجاوز لتولد مجالاً للتدليل بصفات مجازية ذات صور سميودلالية لها طابع جمالي يرنو على النمط المرجعي والعلاقات السياقية .

ثالثا: الانزياح في التداول:

يخضر هذا النوع من الانزياح كأنموذج لمرجعيات الواقع ليولد صورا تداولية ناتجة عن سد الفراغات وملء الفجوات» وتختلف جماليات الصور التداولية أيضا في كون الذي يضطلع المتلقي بملئه يتولد عن تناقض بين الكفاءة التواصلية العادية وكفاءة الانزياح وتظهر عملية التلقي في شكل قراءات متعددة للنص الأدبي: خطيا / مرجعيا / تواصليا»<sup>٥٥</sup>

وأشار بليت نقلا عن جينيت أن الصور تؤدي إلى فجوة بين اللغة الواقعية لغة الشاعر ولغة محتملة.. وأن على المتلقي أن يملأها بينات لسانية موافقة للمعيار<sup>٥٦</sup>، وتحقق الكفاءة البلاغية حين يكون للانزياح مقام تواصلية تهيمن عليه الوظيفة الإقناعية وفي أدناه نموذج بليت الوظيفي لصور الأسلوب حيث وظيفة البلاغة الإقناع<sup>٥٧</sup>:

الوظيفة	مقام التواصل
إخبار	يومي لا بلاغي ولا شعري
إقناع	بلاغي
مقصود لذاته	شعري
وظيفة غير تامة	ناقص

وانطلاقا من هذا التوجس بإزاء النزعات الأسلوبية أتجه بليت نحو البلاغة فوجد أنها تنحو نحو الأثر التداولي والتواصلية منذ القدم وذلك في ثلاثة أشكال:

المقصدية الفكرية وتضم مكونا تعليما ومكونا احتجاجيا وهي ليست منفصلة عن بعضها :

- يهتم الغرض التعليمي بإخبار المتلقي بواقع ما، دون استدعاء العواطف ويتولاه الجانب الإخباري من الخطاب.

- ويتمثل الغرض الحجاجي في جعل موضوع الخطاب ممكنا بالرجوع إلى العقل بالحجة وبالاستقراء والاستنباط.

- ويتعلق الغرض الأخلاقي بتعليم المجتمع في مجال الأخلاق.

المقصدية العاطفية المعتدلة: إثارة الانفعال عند المستمع ولها مكونان المكون الغائي والمكون غير الغائي فأما غرض المكون الغائي فهو الظفر باقتناع الجمهور بواسطة الايطوس ethos ( هو استعطاف المستمع والتأثير فيه)<sup>٥٨</sup>، وأما غرض المكون غير الغائي فهو المتعة الجمالية للجمهور وغياب العزم أو النية كامن في إحالة النص على نفسه (الفن للفن) . وإذا كان المكون الأول موجودا في النصوص الأخلاقية والتعليمية، فإن الثاني موجود في أدب المدح وليس التكسب<sup>٥٩</sup>

مقصدية التهيج وتكمن في البحث عن الانفعالات العنيفة كالحقد والألم والخوف التي تسيطر على الجمهور وهذا ما يسمى بالباطوس pathos ( تهيج وقتي انفجار عاطفة ما) وفيه النصوص القضائية أو الجنس الاستشاري (نهاية الخطبة هي التي تؤدي إليه كما تؤديها أحيانا بدايتها)<sup>٦٠</sup> وهذا موجود في أدب التراجم ولذا لا بد من أن تتلاقى الأسلوبية الوظيفية بالتداولية في القرن العشرين وبحسب أصناف الأسلوب العام والعلمي والصحفي واليومي والرفيع<sup>٦١</sup>

وإذا كان النص الشعري يحتوي على عناصر شعرية وإخبارية؛ فإن الهيمنة ينبغي أن تكون للوظيفة الشعرية وقد وضع بليت لذلك مخططاً توضيحياً حيث الكفاءة البلاغية دائرة تتألف من أجزاء واقترح الآتي :

ضرورة وجود علم عام للنص لا يخص النصوص الأدبية وحدها بل يخص دراسة غيرها من النصوص.

الفكرة المتضمنة في أن كل نص هو بشكل ما بلاغة أي أنه يمتلك وظيفة التأثير فالبلاغة تمثل منهجاً للفهم النصي مرجعه التأثير.<sup>٦٢</sup>

فقوله عليه السلام: (ضمن أرزاقهم) تحتمل قراءات منها مرجعية أي انه سبحانه لأنه خلقهم فلذلك هو يعرف ما قدر لهم من الحياة ونصيبيهم فيها وكفاءة التلقي تقتضي سد فراغ تكلمة الجملة ضمن أرزاقهم في هذه الحياة وليس في الآخرة لأن الحياة هي دار المتاع والعمل والآخرة دار القرار والحساب، وقوله (قدر أقاتهم) أي انه سبحانه فصل معنى الأرزاق أنفاً فخصصها في المعاش وحددها بما يضمن البقاء وهي الأوقات فانتفت بقيت النعم من القصد كنعمة الأبناء أو الصحة أو غيرها من النعم والحذف فيها (في الحياة الدنيا) لأن المتلقي سيعرف ذلك وسيماًلاً الفجوة هنا.

ولأجل توضيح صور الانزياح التي تعمل على مقام التداول فإننا سنوزعها - بناء على وجهة نظر تداولية - بين أربع خانات هي مقصد بلاغي / مقصد إخباري / مقصد شعري / مقصد عاطفي :

مقصد إبلاغي (إقناع)	مقصد إخباري (تفكير)	مقصد شعري (جمال)	مقصد عاطفي (إتمام)
فانظر أيها السائل	لم تتناه في العقول فتكون في مهيب فكرها مكيفا ولا في روايات خواطرها فتكون محدودا مصرفا	إن تؤمل فخير مؤمل وإن ترج فأكرم مرجو	فاقتصر على ذلك
فما ذلك القران عليه فائتم به	قدر ما خلق فاحكم تقديره	اللهم وقد بسطت لي فيما لا امدح به غيرك ولا اثني به على احد سواك	ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين
واستضيء بنور هدايته	ودبره فألطف تدبيره	اللهم ولكل من على من أثنى عليه مشوبة من جزاء	إن من شبههك بتباين أعضاء خلقك .. لم يعقد غيب ضميره على معرفتك

وما كلفك الشیطان علمه	ثم خلق سبحانه لإسكان سمواته .. خلقا بديعا من ملائكته	وبي فاقة إليك لا يجبر مسكتها إلا فضلك ولا ينعش من خلقتها إلا منك وجودك	كذب العادلون بك إذ شبهوك بأصنامهم ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم
فان ذلك منتهى حق الله عليك	وكانه لم يسمع تبرؤ التابعين من المتبوعين إذ يقولون ( تالله ان كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين)		وجزأوك تجزئة المجسمات بخواطهم
واعلم ان الراسخين في العلم	بل عباد مكرمون ( لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)		وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم
	لو استعظمو ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم	انك أنت الله	من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك

العادل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك	اللهم أنت أهل الوصف الجميل	فاهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله وليقيم الحجة على عباده	
بل تعاهدكم بالحجج على ألسن الخيرة من أنبيائه	فهب لنا في هذا المقام رضاك وإغننا عن مد الأيدي إلى سواك	وقدر الأرزاق.. ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها	
ولم يباشر قلبه اليقين بأنه لا ند لك	وقد رجوتك دليلا على ذخائر الرحمة وكنوز المغفرة	هو القادر الذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته.. لتناول علم ذاته ردعها	
	اللهم وهذا مقام من أفردك بالتوحيد الذي هو لك ولم ير مستحقا لهذه المحامد والمادح غيرك	معترفة بأنه لا ينال بجور الاعتساف	
	انك على كل شيء قدير	ولا مقدار احتذى عليه من خالق معهود كان قبله	

		ما دلنا باضطراب قيام الحجة له على معرفته	
		صار كل ما خلق حجة له ودليلا عليه	
		وترداد عزة ربهم في قلوبهم عظما	

وإذ يفترض الأثر التداولي والتواصلية وجود هذه الأنواع من المقصدات فإنه يقر بتعدد القراءات أيضا ومن خلاصة الجدول أعلاه تتضح الاستنتاجات الآتية :

أن اغلب الصور التداولية كانت تقوم على مقصدية فكرية تتلوها مقصدتي الخطاب والتهييج مع القليل من المقصدية العاطفية.

أن الصور السميوتداولية نتجت عن سد القارئ للفجوات التي أوجدها الاحتجاج والاستفهام باعتبارها شبه سؤال والحيرة باعتبارها شبه شك والاعتراف وشبه الاعتراف والامتياز وشبهه.

أن مقدمة الخطبة وخاتمها حملت النسبة الأعظم من الصور التداولية والسميودلالية في إطار مقصدتي الإقناع بالخطاب والتهييج بالإتمام أما المقصدتين الإخبارية بالفكر والشعرية بالجمال فقد جاءتا على سبيل التدليل والاحتجاج والتوسل والمناجاة.

وجدير بالإشارة أن الأمثلة التي أوردناها عن مقاييس التحديد للانزياحات على مستوى التركيب والدلالة والتداول لا تعني أننا قد استخراجنا جميع حالات الانزياح في الخطبة.. إذ يبقى القصد من وراء ما وقفنا عنده من أمثلة هو إعطاء لمحة عن الطريقة التي ينبغي العمل بها من أجل تحليل كامل لمشروع هنريش بليت في الأسلوبية السيميائية.. وعلى ضروب مختلفة من النصوص الإبداعية.

#### الخاتمة:

لقد أخذت البلاغة العلمية الحديثة تتمسك بوصف النصوص وتحليلها لا إنتاجها وصارت علمًا ونظريةً وهي لا تقتصر على نسق المقاصد ولا الطبيعة المعيارية، بل تهتم بالآثار السيكلوجية أو الإيديولوجية على المتلقي ربط الآثار النصية المستخرجة ببعض الخصوصيات البنائية للنص.

- بما أن البلاغة إنتاج وليست تحليل فان لبناء النص مراحل خمسة بحسب مراحل تكونها الزمني وهي: الإيجاد - الترتيب - العبارة - الذاكرة - الإلقاء ، وبهذا فإن هذه المراحل اعني ( الإيجاد/ الترتيب/ العبارة/ الذاكرة/ الإلقاء) بعضها متداخلة ويمكن اختزالها أو تجزئتها أو الاستغناء عنها.

- إن خطبة الأشباح للإمام علي عليه السلام هي الأنموذج البلاغي الإجرائي الذي نخضعه للتطبيق ولعل من أسباب اختيارها أنها تعد من جلائل خطبه عليه السلام إذ إن سبب قولها إن سائلا كان قد سأله عليه السلام أن يصف الله حتى كأنه يراه عيانا فغضب عليه غضبا شديدا وقال الخطبة، ناهيك عن تمتع الخطبة بالكثافة

المجازية اللغوية من مضامين وعبارات بما يخدم مقاييس الفحص والرصد الكمي تكثيفا وتحليلا واستشهادا، ولما كان السطر وحدة قياس فإن احتواء الخطبة على مئة وسبعة وثمانين سطرا سيجعل عملية تحديد كثافة الرصد ممكنا عبر قسمة عددية الشواهد على الطول الكمي للخطبة.

- في خطبة الأشباح يتم تحديد أسباب الخطبة وما الذي تحكيه للمستمع وقد تم توظيف ضمير الخطاب لتوجيه الأذهان وتنبهها على مكامن علم الله تعالى وكيف أن معرفته وسعت كل شيء وما الذي افتراه المفترون من الكاذبين وقد اشتملت على اثنين وثلاثين سطرا.

- ومما تجدر الإشارة إليه أن الأمثلة التي أوردناها عن مقاييس التحديد للانزياحات على مستوى التركيب والدلالة والتداول لا تعني أننا قد استخرجنا جميع حالات الانزياح في الخطبة، إذ يبقى القصد من وراء ما وقفنا عنده من أمثلة هو إعطاء لمحة عن الطريقة التي ينبغي العمل بها من أجل تحليل كامل لمشروع هنريش بليت في الأسلوبية السيميائية.. وعلى ضروب مختلفة من النصوص الإبداعية.

## هوامش البحث

- ١- البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، هنريش بليت، ترجمة د. محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٩/١٩ نسخة بصيغة pdf
- ٢- الأسلوبية، بيرجيرو، ترجمة د. منذر عياشي، دار الحاسوب للطباعة، طبعة ثانية، ١٩٩٤/٤٧ نسخة بصيغة pdf
- ٣- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، د. سعد عبد العزيز مصلوح، لجنة التأليف والتعريب والنشر، جامعة الكويت، ٢٠٠٣ / ٦٨
- ٤- البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص / ٢٣
- ٥- م. ن. / ٢٢
- ٦- م. ن. / ٣٥
- ٧- ينظر: م. ن. / ٢٢ .
- ٨- م. ن. / ٢٢
- ٩- م. ن. / ٢٨
- ١٠- الأسلوبية، بيرجيرو / ٩٧ .
- ١١- ينظر: البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص / ٣٣
- ١٢- ينظر: م. ن. / ٤٢
- ١٣- ينظر: م. ن. / ٤٣-٤٥
- ١٤- ينظر: م. ن. / ٥٠
- ١٥- ينظر: م. ن. / ٥٣

- ١٦- م. ن/ ٥٢
- ١٧- ينظر: م. ن/ ٥٣
- ١٨- م. ن/ ٥٥
- ١٩- ينظر: م. ن/ ٥٣
- ٢٠- عيار الشعر ، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، تحقيق وتعليق دكتور طه الحاجري ودكتور محمد زغلول سلام، شركة فن الطباعة، القاهرة، ١٩٥٦ / ٣
- ٢١- دلائل الإعجاز، تأليف الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ت ٤٧١ او ٤٧٤ هـ ، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤ / ٤١ .
- ٢٢- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ، الخطيب القزويني، د.ط، د.ت/ ١٢ .
- ٢٣- منهاج البلغاء وسراج البلغاء صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني ٦٨٤ هـ تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، المطبعة الرسمية، تونس، ١٩٦٦ / ١٤-١٥
- ٢٤- ينظر: البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص/ ٥٧
- ٢٥- الأسلوبية، بيير جيرو / ٧٣ .
- ٢٦- م. ن/ / ٦٩ .
- ٢٧- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة / ١٧٢-١٧٣
- ٢٨- م. ن/ ١٧٨
- ٢٩- ينظر: البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص/ ٦٠
- ٣٠- م. ن/ ٦٠
- ٣١- م. ن/ ٦٤

٣٢- ينظر: نهج البلاغة ، شرحه الإمام الأكبر الشيخ محمد عبده وخرج مصادره الشيخ حسين الاعلمي، الجزء الأول، شركة الاعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، طبع بإشراف العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الثانية ، ٢٠١١ / ١٨٨ - ٢٠٩.

٣٣- البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص / ٦٥

٣٤- م. ن/ ٦٥

٣٥- نهج البلاغة / ١٨٨

٣٦- م. ن/ ١٨٩

٣٧- م. ن/ ١٩٢-١٩٣

٣٨- م. ن/ ٢٠٨

٣٩- الأسلوبية، بيرجيرو/ ٩٩.

٤٠- ينظر: البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص / ٦٦

٤١- م. ن/ ٧٦

٤٢- م. ن/ ٧٦-

٤٣- م. ن/ ٧٧

٤٤- ينظر: البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، دار نوبار للطباعة، القاهرة/ ٢٢٠. نسخة بصيغة pdf

٤٥- البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص / ٦٨

٤٦- م. ن/ ٨١

٤٧- دلالات الإعجاز/ ٤٦٢

- ٤٨- م. ن. / ٤٣٤
- ٤٩- البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص / ٨١
- ٥٠- م. ن. / ٩٣
- ٥١- الأسلوبية، بيرجيرو / ٩٤
- ٥٢- ينظر: البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص / ٨٣-٨٢
- ٥٣- ينظر: م. ن. / ٩٩-٩٨
- ٥٤- ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم ، الدكتور عمر عبد الهادي عتيق، عالم الكتب الحديث، اربد- الأردن، طبعة أولى، ٢٠١٠ / ١٣٥-١٣٦
- ٥٥- البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص / ١٠٤
- ٥٦- ينظر: م. ن. / ١٠٣
- ٥٧- م. ن. / ١٠١
- ٥٨- ينظر: م. ن. / هامش المترجم: ٢٥- ٢٦
- ٥٩- م. ن. / ٢٦-٢٧
- ٦٠- م. ن. / ٢٧
- ٦١- م. ن. / ٥٦
- ٦٢- ينظر: م. ن. / ٢٤

### قائمة المصادر والمراجع:

محمد زغلول سلام، شركة فن الطباعة، القاهرة  
١٩٥٦.

في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق  
جديدة، د. سعد عبد العزيز مصلوح، لجنة  
التأليف والتعريب والنشر، جامعة الكويت،  
٢٠٠٣

منهاج البلغاء وسراج البلغاء صنعة أبي الحسن  
حازم القرطاجني ٦٨٤ هـ تقديم وتحقيق محمد  
الحبيب ابن الخوجة، المطبعة الرسمية، تونس،  
١٩٦٦

نهج البلاغة، شرحه الإمام الأكبر الشيخ محمد  
عبد وخرج مصادره الشيخ حسين الاعلمي،  
الجزء الأول، شركة الاعلمي للمطبوعات،  
بيروت لبنان، طبع بإشراف العتبة الحسينية  
المقدسة، الطبعة الثانية، ٢٠١١.

الأسلوبية، بيرجيرو، ترجمة د. منذر عياشي،  
دار الحاسوب للطباعة، طبعة ثانية، ١٩٩٤.  
نسخة بصيغة pdf

الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان  
والبديع، الخطيب القزويني، د. ط. د. ت.

البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، دار  
نوبار للطباعة، القاهرة. نسخة بصيغة pdf

البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي  
لتحليل النص، هنريش بليت، ترجمة د. محمد  
العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٩.  
نسخة بصيغة pdf

دلائل الإعجاز، تأليف الشيخ الإمام أبي بكر  
عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني  
النحوي ت ٤٧١ او ٤٧٤ هـ، قرأه وعلّق عليه  
محمود محمد شاكر، الشركة الدولية للطباعة،  
القاهرة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤.

ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم، الدكتور  
عمر عبد الهادي عتيق، عالم الكتب الحديث،  
اربد-الأردن، طبعة أولى، ٢٠١٠.

عيار الشعر، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي،  
تحقيق وتعليق دكتور طه الحاجري ودكتور